

الفكر الموسوعي عند المبرد

أ.د. عمر لحسن
جامعة عنابة

الملخص :

لقد ظهر على مرّ التاريخ رجال تركوا بصماتهم واضحة في الحضارة العربية الإسلامية، بإيجازاتهم التي رفعوا بها تحديات الزمن والبقاء، فبقيت أسماؤهم لامعة لقرون كثيرة، وما زالت تصنع الحدث إلى يوم الناس هذا، بسبب الإضافات التي قدمتها لصرح الحضارة العربية الإسلامية، سواء في المجال الديني أم اللغوي أم العلمي أم السياسي أم العسكري أم الأدبي. ومن بين هؤلاء الرجال، أبو العباس المبرد، الذي كان أتمّودجا يحتذى في التفاني في طلب العلم والمعرفة، كرس حياته كلها في قراءة ما كتبه العلماء وفي التأليف في شتى مجالات الفكر الإنساني، حتى عدت مؤلفاته موسوعية. فعندما نتحدث عن الفكر الموسوعي عند المبرد، يجب علينا أن نطرح سؤالين اثنين، هما الركيزة لهذا البحث: ما هي أسباب هذا الفكر الموسوعي ودواعيه ؟ وما مظاهره أو كيف تجلّى هذا الفكر الموسوعي لدى المبرد ؟

Résumé :

A travers toutes les périodes de l'histoire arabo-musulmane, des hommes ont laissé leurs empreintes, grâce à leurs réalisations qui ont défié le temps et l'existence, leurs noms sont restés brillants à travers les siècles, et ils sont toujours d'actualité aujourd'hui, grâce aux valeurs qu'ils ont ajoutées à la civilisation arabo-musulmane, tant sur le plan religieux, linguistique, scientifique, politique, militaire que littéraire. Parmi ces hommes, nous pouvons citer Abou Al Abbas Al Moubarrid, qui a été un exemple dans son dévouement à la science et le savoir, lui qui a consacré toute sa vie à lire les ouvrages des autres savants et à écrire ses propres ouvrages qui ont englobé les différents domaines de la pensée humaine, à tel point qu'il a été considéré comme encyclopédique. Et quand on parle de la pensée encyclopédique chez Al Moubarrid, nous devons nous poser deux questions primordiales dans cet article: quelles sont les causes qui ont conduit à cette pensée encyclopédique ? et quels sont les aspects de cette pensée ?

المقدمة:

لقد ظهر على مرّ التاريخ رجال تركوا بصماتهم واضحة في الحضارة العربية الإسلامية، بإيجازاتهم التي رفعوا بها تحديات الزمن والبقاء، فبقيت أسماؤهم لامعة لقرون كثيرة، وما زالت تصنع الحدث إلى يوم الناس هذا، بسبب الإضافات التي قدمتها لصرح الحضارة العربية الإسلامية، سواء في المجال الديني أم اللغوي أم العلمي أم السياسي أم العسكري أم الأدبي. وما زلنا اليوم بعد مرور القرون الكثيرة بحاجة إلى مراجعة ما أنجزه هؤلاء العظماء ودراسته في ضوء مستجدات العلوم المختلفة، إيماناً منا بأن الإنسان لا يمكن أن يستغني عن تاريخه وعن معرفة الرجال العظماء الذين صنعوا هذا التاريخ، وما تركوه من آثار ومآثر ومواقف وسير أنارت درب أجدادنا قبلنا.

وقد يقول قائل ما حاجتنا إلى معرفة الماضي والتنقيب في سير رجاله من أمثال أبي العباس المبرد وأعمالهم العلمية والأدبية، وقد بلغت الدراسات اللسانية المعاصرة شأواً واسعاً. غير أن هذا التقدم السريع الذي عرفته اللسانيات المعاصرة جعلها تقيم قطيعة مع الدراسات اللسانية القديمة، وفي هذا الصدد يقول تشومسكي: « وفي المقابل، انقطعت اللسانيات الحديثة بطوعية عن النظرية اللسانية التقليدية وحاولت إنشاء نظرية لسانية بكيفية جديدة كل الجدة ومستقلة. ولم يهتم اللسانيون المحترفون عموماً إلا قليلاً بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قِبَل التقليد الأوروبي السابق، واهتموا بمسائل مختلفة جداً، داخل نطاق ثقافي بعيد عن أن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارها أقدم الدراسات اللسانية، والتي أفضت إلى النتائج المحققة إلى حدّ الآن، وما زلنا إلى اليوم نجعل الكثير من إسهامات الماضي هذه أو ننظر إليها باستخفاف واضح »⁽¹⁾. ولم يكن العرب بمنأى عن هذا الموقف المححف، وذلك لأنهم انساقوا وراء منجزات اللسانيات المعاصرة الوافدة من الغرب - والمغلوب مولع بالغالب

دائماً - تاركين وراءهم تراثاً عربياً زاخراً. ولهذا السبب فكرت في هذه الورقة أن ألقى الضوء على إسهامات واحد من أهم علمائنا الذين ذاع صيتهم على مرّ عصور الحضارة العربية الإسلامية.

فباللسانيات المعاصرة كفيلة بأن تجعلنا ننظر إلى تاريخنا اللساني نظرة مختلفة، وتسمح لنا باستجلاء مواطن القوة والتألق، ومعرفة تاريخ رجالها العظماء والعلماء الذين ساهموا في صنع هذا التاريخ التليد، لعلنا ننهل من كنوزهم، ونعرف أسرار تألقهم، فننخذهم قدوة للخروج من حالة التبعية التامة للغرب التي تعرفها الأمة العربية الإسلامية في جميع مظاهر الحضارة.

- المبرد:

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، وينتهي نسبه بـ"ثمالة"، وهو عوف بن أسلم من الأزد. ولد سنة 210 هـ، وتوفي سنة 285 هـ. تلقى العلم على كبار علماء عصره، ولكنه لم يكتف بذلك ليضمن لنفسه تكويناً علمياً راقياً، فلم تقتصر روافد ثقافته "المبرد" ومصادر علمه على ما يتلقاه عن شيوخه فحسب، وإنما كان نهم القراءة؛ يقرأ كل ما يمكن أن يصل إليه من كتب السابقين.

عاش "المبرد" في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وعاصر كثيراً من الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بالعلم والعلماء، وساهموا في إرساء دعائم الحضارة الإسلامية ورفقيها وصناعة نهضة عظيمة في مختلف العلوم والفنون. وكان "المبرد" واحداً من هؤلاء العلماء الذين تشعبت معارفهم، وتنوعت ثقافتهم لتشمل العديد من العلوم والفنون، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية، فإن ذلك كان ربما يرجع إلى غيخته الشديدة على قوميته العربية ولغتها وآدابها في عصر انفتحت فيه الحضارة العربية على كل العلوم والثقافات، وظهرت فيه ألوان من المعارف والفنون لم تألفها العرب من قبل.

عندما نتحدث عن الفكر الموسوعي عند المبرد، يجب علينا أن نطرح سؤالين اثنين، هما الركيزة لهذا البحث: ما هي أسباب هذا الفكر الموسوعي ودواعيه؟ وما مظاهره أو كيف تجلّى هذا الفكر الموسوعي لدى المبرد؟

1- الأسباب:

لقد تضافرت مجموعة من العوامل المختلفة أسهمت كلها في خلق هذه الشخصية العلمية المتميزة التي عرف بها المبرد.

- عصره:

مما لا شك فيه أن أبا العباس المبرد الأزدي قد ولد وعاش ومات في القرن الثالث الهجري، وهو عصر تميز لا محالة بوقوع مخاض علمي وفكري وديني عقدي لا مثيل له في تاريخ الأمة العربية.

كان العرب في العصر الجاهلي يعيشون حياة حل وترحال، تتميز بالبساطة في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، أساسها الاجتماعي القبيلة وما لفّ لفها، وأساسها الاقتصادي رعي الإبل والأغنام والأبقار، وانتجاع الكأ والماء في وسط الصحراء الشاسعة. ولم تميز حياتهم سوى بساطة المأكل والملبس والمسكن، وكل مظاهر الحياة، ذلك أنهم اختاروا نمط عيش لا استقرار فيه. وبذلك نكون محققين في حقهم إن طلبنا منهم أن يبنوا حضارة معقدة. ولو نظرنا إلى «الخط البياني لمسيرة اللغة العربية فيما قبل الإسلام لوجدنا هذا الخط على مستوى أفقي ثابت لا يقفز صاعداً ولا يهبط منحدرًا، وإنما يقوم على المحافظة على مستواه أمة عربية جاهلية شديدة الاعتزاز بتراثها والتسامي في طرق إبداع نصوصه شعراً أو خطابة أو سجع كهانة أو وصايا أسرية أو غير ذلك مما تتسع له الحياة البدوية»⁽²⁾. فقد كانوا يولون لغتهم اهتماماً منقطع النظير، يهذبونها «ويصقلونها حسب أذواقهم وبطريقة عفوية معتمدين في ذلك ما يجعلها خفيفة على السمع سهلة على اللسان سائغة جميلة. لجأوا في ذلك إلى أساليب شتى من الإبدال والإعلال والحذف والزيادة والادغام، ومن تجنيبها عدم الانسجام في

مفرداتها وتراكيبها وعدم اللبس في التعبير، كما أثروها بوسائل متنوعة من الاشتقاق والتوسع في الدلالة وبالنقل وضروب التشبيه والمجاز والاستعارة» (3).

وكان انبلاج صبح الإسلام بمثابة نقطة التحول الحاسمة، التي جعلت الخط البياني للغة العربية يتحرك صاعدا بتسارع مذهل، فانتقلت اللغة العربية من حالة سكون وجمود إلى حركية إبداعية في جميع المجالات الأدبية والفكرية والعلمية، وذلك بفضل الدفع القوي الذي أعطاها إياه القرآن الكريم، فطوّعها وثبّتها ورعاها ومنحها الخلود وما زالت في كنفه إلى يومنا، ولولاه لتطورت تطورا طبيعيا واندثرت كغيرها من اللغات القديمة.

لقد مرت الحضارة العربية القديمة بمرحلتين متميزتين، تمثلت الأولى في مرحلة بناء الدولة العربية منذ بداية تأسيس الدولة الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة إلى غاية النصف الأول من الحكم العباسي، حيث تميزت الحضارة العربية في هذه المرحلة بالدور الفعال للعنصر العربي، سواء في المظهر المادي للحضارة من تأسيس المساجد التي بدأها الرسول ببناء المسجد النبوي الشريف، مما يدل على أهميته في حياة المسلمين، ولتعلموا أن المسجد هو أول خطوة في بناء الحضارة وتحقيق الازدهار والتقدم، وكذلك تشييد القصور والمباني الضخمة في عهد الحكم الأموي والعباسي، ووضع الهيئات التي تسهر على تسيير شؤون الدولة، من تعيين الولاة، وقواد الجيش، والحجاب، والوزراء، وإنشاء الأجهزة الإدارية والدواوين، مثل ديوان الجند، وديوان العطاء، وديوان الخراج، وديوان البريد، وديوان الخاتم، وديوان الرسائل، وديوان العمال (4)، وهي كلها دواوين تستعمل اللغة العربية، مما أدى إلى إغناء اللغة العربية بمجموعة هائلة من المصطلحات في شتى المجالات التي سبق ذكرها، وهي مجالات ذات طابع سياسي وإداري لم يكن للغة العربية عهد به قبل هذه المرحلة، وإن وجدت، فقد كانت ذات دلالة مغايرة. وكما تميزت هذه المرحلة في المظهر الفكري العلمي، بظهور مجموعة من العلوم العربية الأصيلة، تأسست على موضوعين كبيرين: القرآن الكريم واللغة العربية.

أما الموضوع الأول، فقد أدى الاهتمام به إلى ظهور مجموعة من العلوم، أهمها علم التفسير، والقراءات القرآنية، وعلم التجويد، بالإضافة إلى البحث في إعجاز القرآن وبلاغته، وعلم الكلام، والفقه، والأصول. في حين أدى الاهتمام باللغة العربية إلى ظهور حركة لسانية منقطعة النظير. ظهرت مجموعة من العلوم، كعلم الأصوات، وعلم التصريف وعلم النحو، وعلم البلاغة، وعلم الدلالة والمعاجم، و« ما انتهى القرن الرابع حتى تأسست العلوم الإسلامية، وجمعت اللغة وقُعدت لها القواعد العامة وأحصيت مفرداتها، وحصرت تراكيبها وعرف مؤلفها ومتردها وشاذها، ودرست مقاييسها وأسرار دلالاتها» (5). ومن بين المصطلحات التي ظهرت في المجال البلاغي والتي أخذت كلها من اللغة العامة بدلالات جديدة: البديع، والحقيقة، والمجاز، والكناية، والاستعارة، والإيغال، والتورية، والجناس، والطباق، والتصدير، والمقابلة، والتضمن. أما فيما يخص الموضوع الثاني، فيمكن أن نذكر على سبيل المثال مصطلحات العروض التي أخذت في مجملها من الحياة العربية العامة وما تحتوي عليه من أدوات، من مثل أسماء البحور: الطويل والمديد والبسيط والمزج والكامل، والبيت وأجزائه كالشطر والصدر والعجز والعروض والضرب، والصحيح والمفوف والمعرى، والتفاعيل وأجزائها كالسبب والتود والفاصلة والزحافات وأقسامها والعلل وأنواعها، والمعاقبة والمكانفة والمراقبة، والقوافي وحدودها كالمترادف والمتواتر والمتراكب والمتكاوس.

أما المرحلة الثانية، فتمثلت في الفترة التي توطد فيها الحكم العباسي، وتوسع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، وازدهار المظاهر الحضارية المادية والفكرية، حيث تميزت هذه المرحلة بدخول الأعاجم في المعترك الفكري والعلمي والأدبي. ومع استقرار الدولة بدأت تظهر نتائج الحضارة الإسلامية في العلوم والمعارف والفنون. ولكي أحدثكم عنها فسوف آخذكم في جولة سريعة لزيارة آثار العباسيين في العمارة وخاصة في مدينة «بغداد» التي بناها المنصور سنة 146 هـ، والتي نشاهد فيها روائع العمارة

الإسلامية في العصر العباسي الأول وخاصة «قصر الأخيضر» الذي يعد أجمل وأروع القصور العباسية لا يضاهيه في الجمال سوى «قصر المعتصم» في «سامراء»، وهي العاصمة الثانية للخلافة العباسية، وأما عن «عمارة المساجد» فنلاحظ التطور الذي حدث فيها في «المسجد الجامع» في «سامراء»، والذي يتميز بتصميم فريد لم يظهر من قبل وخاصة في مئذنته الحلزونية الشهيرة، والزائر للمسجد يلاحظ تقنية الصوتيات المعمارية المتقدمة. وفي الآثار المعمارية للعباسيين، نشاهد روائع الفن الإسلامي في ذلك العصر، ونرى «التصوير الجداري» في القصور العباسية، بالإضافة إلى الزخارف الحصية من خلال فن «النحت على الحجر» برسم تفريعات نباتية ذات أوراق كبيرة، كما ظهر فن «النحت على الخشب» في قطعة خشبية عثر عليها علماء الآثار في سامراء. وينسب إلى أوائل العصر العباسي مجموعة من الأواني الخزفية التي ظهرت فيها ابتكارات المسلمين في «فن الخزف».

ومن مفاخر العصر العباسي أنه ظهر فيه حشد كبير من العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب. ويكفي هذا العصر فخراً أنه اجتمع فيه أئمة «الفقه» الأربعة، وعلى رأسهم الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، وفقه «المدينة» الإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام الممتحن أحمد بن حنبل. وظهرت في الفقه الإسلامي مدرستان علميتان كبيرتان هما مدرسة أهل الرأي في العراق، ومدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة. وحفل هذا العصر أيضاً بأئمة علوم القرآن وعلوم اللغة العربية فظهر منهم سيبويه والخليل بن أحمد وأبو عمرو بن العلاء والفراء والكسائي. وظهرت في علوم اللغة أيضاً مدرستان علميتان: مدرسة «البصرة»، ومدرسة «الكوفة». وفي التاريخ ظهر أول تاريخ كامل للسيرة النبوية الشريفة في كتابي «سيرة ابن هشام» وكتاب «الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد. وأما عن تطور العلوم في العصر العباسي الأول، فقد انتقلت العلوم من مرحلة التلقين الشفوي إلى مرحلة التدوين والتوثيق في الكتب والموسوعات. وظهرت أول مؤسسة علمية من نوعها، وهي «دار الحكمة» التي تأسست في عهد الرشيد ووصلت إلى أوج نشاطها في التصنيف والترجمة في عهد المأمون. ومن الجدير بالذكر أن المسلمين لم يكتفوا بمجرد الترجمة، بل كانوا يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه وكانت «المجالس والندوات العلمية» منتدًى خصباً للحوار بين العلماء. ومن الإنجازات العلمية المهمة في هذا العصر تشييد المراصد الفلكية والاهتمام بمراقبة النجوم والأفلاك، وفي هذا المجال نستطيع أن نجزم مع إبراهيم مذكور: «أنه لا تكاد توجد دراسة تجريبية أولع بها علماء الإسلام ولوعهم بالظواهر الفلكية، فأسسوا المراصد، واستخدموا آلات الرصد الدقيقة، وقاموا بعدة أرساد كشفت عن حقائق علمية مهمة. وتنافس الخلفاء والولاة، فكان لكل خليفة أو والٍ مرصده الخاص الذي يشرف عليه فلكي كبير. ومن بين هذه المراصد مرصد المأمون في جبل قسيون بدمشق، ومرصد بني شاذان ببغداد، ومرصد الحاكمي في جبل المقطم بالقاهرة» (6). وقد تمكنوا - من خلال هذه المراصد - من تفسير ظاهرة الجاذبية، وتعيين خط العرض وقياس طول محيط الأرض وقد ساعدتهم في هذا علماء الجغرافيا والهندسة. ومن المصطلحات التي ارتبطت بهذا العلم، يمكن أن نذكر: الأسطرلاب (يونانية)، والهيولي (يونانية)، والأشباه والنظائر، والعرض والجوهر (فارسية)، والأجرام، المشتري، وعطارد (آرامية)، والقطب، وآب (آرامية)، وتموز (آرامية) (7).

ومن العلوم التي نالت اهتمام العلماء المسلمين وبرعوا فيها علم المعادن، حيث عرف المسلمون الكثير عن الخواص الطبيعية للمعادن، ووصفوها وصفاً علمياً دقيقاً، مثل: اللون، والبريق، ودرجة الشفافية، والصلابة، والوزن النوعي لها. وقد برع علماء كثيرون في هذا المجال، منهم: عطارد بن محمد الحسيب، الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وهو صاحب أول كتاب إسلامي عن الأحجار، وهو كتاب (الجواهر والأحجار الكريمة). وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي توفي (313 هـ)، وقد ألف في المعادن كتاب (الخواص)، وكتاب (علل المعادن) وتناول فيهما دراسة خواص الأحجار، ومكوناتها الطبيعية. ويحيى بن

ماسويه، صاحب كتاب (الجواهر وصفاتها)، وهو من أهم الكتب الإسلامية في مجال المعادن، حيث يكشف عن بداية اشتغال المسلمين بعلم المعادن وكتابتهم عنه وتصنيفهم فيه، وموقفهم من تجارة الجواهر وطرق الحصول عليها، وأماكن استخراج الحجار في المشرق القديم وأثمانها وأوزانها المختلفة، والمصطلحات والأسماء التي تتعلق بعلم الأحجار في تلك العصور المتقدمة.

وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى (440 هـ)، والذي قال عنه علماء أوربا وغيرها: إنه أعظم عقلية عرفها التاريخ، وقد ترك لنا البيروني أعظم كتاب في علم المعادن وأوسعها، وهو كتاب الجماهر في معرفة الجواهر. واختراع أول جهاز لقياس الوزن النوعي للمعادن والأحجار الكريمة، وتمكن به معرفة الوزن النوعي بدقة لثمانية عشر حجرًا كريمًا، ومعدنًا وفلزًا، وكان أول من ميز بين المعادن والفلزات. واستخدم كلمة المعدن لوصف الأحجار الكريمة، وكلمة الفلز لوصف الذهب والفضة والحديد والزنك⁽⁸⁾. والعالم الموسوعي ابن سينا، وبعد المؤسس الحقيقي لعلم الجيولوجيا، ويبدو إسهامه من خلال كتابه الشفاء، في الجزء الخاص بالمعادن والظواهر الجوية⁽⁹⁾.

وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (ت 651 هـ) صاحب (كتاب أزهار الأفكار في جوار الأحجار)، وبعد كتابه مع كتاب البيروني قمة ما وصل إليه العلماء المسلمون في علم المعادن.

ومحمد بن إبراهيم بن ساعد البخاري المعروف بابن الأكفائي المتوفى سنة (749 هـ)، صاحب كتاب "نخب الذخائر في أحوال الجواهر". ولقد سبق علماء المسلمين علماء الغرب بنحو ستة قرون في مجال علم المعادن، وكان لما تركوه من تراث عظيم، أكبر الأثر في نهضة أوربا وتقدمها في هذا المجال.

وقد كان للعديد والعديد من العواصم والمدن الكبرى إشعاع حضاري وعلمي قوي، ومنها مكة والمدينة، والقاهرة والإسكندرية، وفاس والقيروان، وحلب ودمشق، ومدن ما وراء النهر كبخارى وطشقند وخوارزم وسمرقند، ونيسابور في خراسان، وأشبيلية وقرطبة، بالإضافة إلى بغداد عاصمة الخلافة.

كما قام الحكام المسلمون بإنشاء المكتبات الزاخرة بالكتب الأساس في مجالات العلوم، واشتهرت بغداد ودمشق والقاهرة بمكتباتها الزاخرة بأمهات الكتب في كل فروع المعرفة، ففي القاهرة «رتب مئات العمال والفنيين في مكتبي الخليفة مليونين من المجلدات»⁽¹⁰⁾. وقد نشر ابن النديم، تاجر الكتب في بغداد، فهرسًا للعلوم يضم في عشرة مجلدات، أسماء جميع الكتب التي صدرت باللغة العربية في الفلسفة والفلك والرياضيات والطبيعات والكيمياء والطب حتى ذلك الحين⁽¹¹⁾.

- مكانته:

بعد وفاة "المازني" صار المبرد زعيم النحويين بلا منازع وإمام عصره في الأدب واللغة من بعد شيخه، فأقبل عليه الدارسون من كل حذب وصوب، وصار بيته قبلة لطلاب العلم ورواد المعرفة من كل مكان، ومنتدى للوجهاء والعظماء والأعيان. واختصه كثير من سرة القوم وأعيانهم لتأديب أبنائهم؛ لما عُرف عنه من العلم والفضل والأدب، وما اشتهر به من المروءة والوفاء. فكان المبرد ذا مكانة عالية في عصره بين العامة والخاصة، يتمتع باعتراف كبير في نفوس معاصريه، فهذا تلميذه ابن أبي الأزرهر يقوله في وصفه: «كان من العلم، وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة الترجمة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق، على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه، أو تأخر عنه».

وقال أبو الطيب اللغوي: «أخذ النحو عن المازني والجرمي جماعة، برع منهم أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي، فلم يكن في وقته ولا بعده مثله».

وقال الزبيدي: «رأينا محمد بن يزيد، وهو حديث السن متصدرا في حلقة أبي عثمان المازني، يقرأ عليه كتاب سيبويه وأبو عثمان في تلك الحلقة كأحد من فيها». فلا يمكن أن يقدم الأستاذ تلميذه عليه إلا إذا كان بارعا في حفظ الكتاب وفهمه وفي قدرته على الإفهام والشرح.

وقال السيرافي: «ما رأيت أحسن جوابا في معاني القرآن، فيما ليس فيه قول لمتقدم، ولقد فاتني منه علم كثير، لقضاء ذمام ثعلب».

ووصفه الخطيب البغدادي بأنه «شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربية... وكان عالما فاضلا موثوقا به في الرواية، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر»⁽¹²⁾.

لا مراء أن هذه الأقوال تعطينا صورة عن الرجل، فهي شهادات عن غزارة علمه وكثرة مجالاته (مما يجعل ثقافته موسوعية)، وسمو أخلاقه وحسن مجالسته الناس وعن براعته التعليمية، مما يجعله حقا أحد العلماء الأجلاء في عصره وبعده ممن يستحقون التقدير والتبويه.

كل ذلك كان سببا لخلق رجل عالم، متعدد المشارب، تحدوه رغبة قوية في التميز والتفرد والبروز، حتى ذاع صيته، وأصبح ذا مكانة مشهودة بين ذوي عصره.

- أسانذته:

مما لا شك فيه أن المبرد تلقى العلم والمعرفة في شتى فروعها ومجالاتها التي كانت رائجة في عصره على كبار العلماء والباحثين، الذين بلغوا شهرة بتزعمهم المدارس اللغوية والأدبية والبلاغية في ذلك العصر.

فقد جاء إلى بغداد، وهو نكرة فقير، وكان بحاجة إلى أن ينال بعض الشهرة ليحسن بها ظروفه المعيشية، ويحقق ذاته التي كانت تواقة إلى الشهرة من جهة، وإلى تحصيل العلم باعتباره واجبا دينيا عقديا، أمر به الله عز وجل، ووصى به الرسول صلى الله عليه وسلم.

كان «مخالطا شعراء عصره وأدباءه، فروى شعر البحري وحادث عمارة بن عقيل لما قدم بغداد، فاجتمع إليه الناس وكتبوا شعره وعرضوا عليه الأشعار. كما روى شعر أبي تمام والفتح بن خاقان وعبد الله بن المعتز وغيرهم. كما قرأ مؤلفات من سبقه من النحويين»⁽¹³⁾. فاختار لنفسه أفضل علماء عصره، ليتلمذ على أيديهم، الجاحظ، والمازني، وأبا حاتم السجستاني والرياشي والزيادي، والذين كانوا يمثلون القمة في مجال تخصصهم. كان يمكن أن يكتفي بواحد منهم، وهو ليس بقليل، ولكن همته العالية، ورغبته الجارحة في التزود بأكبر قدر من علوم عصره جعله يتنوع مصادره، ويختار الأفضل، مع ما يتطلبه ذلك من تضحية بالوقت والصحة. ويمكن أن نذكر أهم هؤلاء العلماء:

- الجاحظ:

هو الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، عالم جليل وقمة من قمم العرب في العلم والأدب، وهو حقيقة غني عن التعريف، ولا أجد في هذا المقام أفضل مما وصفه به ياقوت الحموي، ويوجز فيه لنا بلفظ أنيقٍ وتعبيرٍ رشيقٍ قوله: «أبو عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومدرّس المتقدمين والمتأخرين. إن تكلم حكي سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظم في الجدال، وإن جدّ خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد على مزيد، حبيب القلوب، ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب، كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه أنفأ، ولا تعرّض له منقوص إلا قدّم له

التواضع استبقاءً. الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصة تسلم له، والعامة تحبه. جمع بين اللسان والقلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشت حكمته، وظهرت خلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه». أما كتبه فهي كثيرة، يمكن أن نذكر منها: البيان والتبيين في أربعة أجزاء. كتاب الحيوان في ثمانية أجزاء. البخلاء. المحاسن والأضداد. البرصان والعرجان. التاج في أخلاق الملوك. الآمل والمأمول. التبصرة في التجارة. البغال. فضل السودان على البيضان. العديد من الرسائل التي حقق بعضها منها الدكتور عبد السلام هارون وطبعت بعنوان (رسائل الجاحظ).

- أبو عثمان المازني⁽¹⁴⁾:

اسمه بكر بن محمد، كان أبوه محمد بن حبيب نحويًا قارئًا. له من الكتب: كتاب ما تلحن فيه العامة. وكتاب الألف واللام. وكتاب التصريف. وكتاب العروض. وكتاب القوافي. وكتاب الديباج. وكتاب علل النحو. وتفسير كتاب سيبويه⁽¹⁵⁾. - الجرمي:

هو أبو عمرو صالح بن إسحاق البجلي، وهو مولى لجرم بن ريان، وجرم قبيلة يمنية. أخذ النحو عن الأخفش وغيره. قرأ كتاب سيبويه عن الأخفش. لقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه. وأخذ اللغة عن أبي زيد والأصمعي. له من الكتب: كتاب القوافي. كتاب التثنية والجمع. كتاب الفرخ. كتاب الأبنية. كتاب العروض. كتاب تفسير غريب سيبويه. كتاب السير⁽¹⁶⁾. - الزيادي:

هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه. قرأ على الأصمعي وغيره من العلماء. وقرأ كتاب سيبويه ولم يتمه. وله من الكتب: كتاب شرح نكت كتاب سيبويه. كتاب الأمثال. كتاب النقط والشكل. كتاب تنميق الأخبار. كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار⁽¹⁷⁾.

- الرياشي:

هو أبو الفضل العباس بن الفرج. ورياش رجل من جذام، وكان أبو الفضل عبداً له فبقي عليه نسبه إلى رياش. وكان عالماً باللغة والشعر، كثير الرواية عن الأصمعي، وعن غيره كذلك. له من الكتب: كتاب الخيل. كتاب الإبل. كتاب ما اختلفت أسماءه من كلام العرب⁽¹⁸⁾.

- السجستاني:

هو أبو حاتم سهل بن محمد. كان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، وكان عالماً باللغة والشعر. يقول المبرد: سمعته يقول: قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين. وكان حسن المعرفة بالعروض، كثير التأليف للكتب في اللغة، يقول الشعر، صادق الرواية، وعليه اعتمد أبو بكر بن دريد في معجمه الجمهرة. وقد أحصى له ابن النديم ستة وثلاثين كتاباً⁽¹⁹⁾، كان أغلبها من كتب اللغة، ككتاب الطير، وكتاب النبات، وكتاب النحلة، بالإضافة إلى كتب الصرف مثل المذكر والمؤنث وكتاب المقصور والممدود، وكذلك كتاب وما تلحن فيه العامة، وكتاب القراءات.

كل هذه العوامل مجتمعة (شخصية المبرد، عصره، أساتذته، ورغبته التواقة إلى التميز والتفرد) كان سبباً في خلق رجل عالم، متعدد المشارب، تحدوه رغبة قوية في التميز والتفرد والبروز، حتى ذاع صيته، وأصبح ذا مكانة مشهودة بين ذوي عصره.

2 - تحلي الفكر الموسوعي:

وكان من مظاهر هذا الفكر الموسوعي لدى عالمنا الفذ أبي العباس المبرد كثرة مؤلفاته التي تجاوزت الخمسين كتاباً، وتنوع المجالات العلمية التي تناولتها هذه الكتب، بالإضافة إلى كثرة التلاميذ الذين كانوا يتوافدون عليه من كل البقاع العربية لينهلوا من علمه الغزير الذي تجاوزت أخباره حدود بغداد بكثير، بل إن منهم من هجر أستاذه والتحق به مثل ما فعل الزجاج كان تلميذاً لثعلب. ونعرض فيما يلي بعض تلاميذه الذين أصبحوا من علماء عصرهم بعد وفاة المبرد:

- تلاميذه:

لقد بلغ المبرد مستوى عالياً من العلم والمعرفة في شتى العلوم والمعرفة، مما جعله يتصدى للتدريس في حلقات التدريس ببغداد، يقول رمضان عبد التواب: «كانت مهنة أبي العباس المبرد التدريس، وكان أكثر ما يقوم به هو إلقاء كتاب سيبويه، حتى نبغ واشتهر بذلك»⁽²⁰⁾. فكان الطلبة ينفدون إليه من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، فجاؤوه من بلاد فارس ومن الحجاز ومن مصر، فخرج على يديه كبار العلماء الذين اشتهروا في عهده أو بعد موته. ومن أشهرهم: الزجاج، وابن السراج، والصولي، وابن درستويه، والنحاس، وابن ولاد، ونفطويه. والشكل الآتي يبين المبرد وسط أساتذته وتلاميذه:

وهكذا نلاحظ أن المبرد الذي حظي بفرصة التكوين والتعلم على أيدي كبار علماء عصره في شتى المجالات العلمية والأدبية واللغوية، مما كان سبباً في نبوغه عالماً فذاً ومدرسا ناجحاً، جعل التلاميذ ينفدون عليهم من كل حذب وصوب، فيكون مساهماً في تخريج عدد هائل من العلماء الذين برعوا في شتى مناحي العلم والفكر والأدب، وخلفوا لنا زخماً كبيراً من كنوز العلم والمعرفة. فكان المبرد بذلك خير خلف لخير سلف.

- آثاره:

ألف المبرد مجموعة كبيرة من الرسائل والكتب، تناولت شتى أصناف العلوم والمعارف التي كانت سائدة في عصره، جاء ذكرها مبثوثة في بطون الكتب والمراجع المختلفة، نذكرها فيما يلي، مع محاولة الإشارة إلى أماكن ذكرها في تلك المراجع، وإلى المخطوط منها والمنشور:

- 1 - احتجاج القراء: ذكره ابن النديم في الفهرست ص 267⁽²¹⁾ وأشار إليه بعنوان (احتجاج القراءة)، والفقطي في إنباه الرواة 251/3، وكذلك ياقوت الحموي في الإرشاد 143 / 7، وأشار إليه بعنوان (احتجاج القراء).
- 2 - الاختيار: ذكره المبرد نفسه في كتاب الكامل 760/4، فقال: «وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيار».
- 3 - أدب الجليس: ذكره ابن النديم في الفهرست ص 268، والفقطي في الإنباه 252/3.
- 4 - أسماء الدواهي عند العرب: ذكره ابن النديم في الفهرست ص 268، وياقوت الحموي في إرشاد الأريب 144 / 7،
- 5 - الاشتقاق: ذكره ابن النديم في الفهرست ص 267، والفقطي في الإنباه 251/3، والسيوطي في بغية الوعاة ص 116.

وقد اقتبس صاحب وفيات الأعيان: «قال المبرد في كتاب الاشتقاق: إنما سميت ثمالة؛ لأنهم شهدوا حرباً فنى فيها أكثرهم، فقال الناس: ما بقي منهم إلا ثمالة. والتمالة البقية اليسيرة»⁽²²⁾.

- 6 - الاعتنان: ذكره البغدادي في خزائن الأدب 305/1، قال: «وهذا البيت من قصيدة للصلتان العبدى عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً، أوردها المبرد في "الاعتنان" والقالي في "أماله" وابن قتيبة في كتاب "الشعراء" إلا أنه حذف منها أبياتاً.

- والاعتنان معناه: المعارضة والمناظرة في الخصومة؛ يقال: عنّ له إذا جادله وعارضه. ومضمون كتاب الاعتنان: بيان الأسباب التي اقتضت التهاجي بين جرير والفرزدق»⁽²³⁾.
- 7 - الإعراب: ذكره ابن النديم في الفهرست ص 268، والقفطي في إنباه الرواة 252/3.
- 8 - إعراب القرآن: ذكره السيوطي في بغية الوعاة ص 116، وابن النديم في الفهرست ص 267.
- 9 - الأنواء والأزمنة: ذكره ياقوت الحموي في إرشاد الأريب 143/7، وابن النديم في الفهرست ص 267. وقد ذكر رمضان عبد التواب - رحمه الله - نصا اقتبسه البطليوسي في كتابه الاقتضاب نقله من كتاب المبرد: « وأنشد أبو العباس المبرد في كتاب الأزمنة: نعم أخو الهيجاء في اليوم اليمي»⁽²⁴⁾.
- 10 - البلاغة: نشر هذا الكتاب بتحقيق رمضان عبد التواب 1965، ضمن سلسلة روائع التراث اللغوي عن مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- 11 - التصريف: ذكره ابن النديم ص 268، وإنباه الرواة 252/3، وابن خبير في فهرسته ص 312.
- 12 - التعازي: منه مخطوطة في الأسكوريال، باسم " التعازي والمرائي "، كما ذكر رمضان عبد التواب بأنه حققه وهو جاهز للنشر⁽²⁵⁾.
- 13 - الجامع: ذكره ابن النديم ص 268، والقفطي 532/2. وتشير كل المراجع التي ذكرت هذا الكتاب أن المبرد لم يكمل تأليفه. وقد أخذ منه عبد القادر البغدادي نصا جاء فيه: « قال المبرد في الجامع: والأجود في هذه الأبيات نصب الأخبار المقدمة، ورفع المعارف، ورفع القوافي على قطع وابتداء »⁽²⁶⁾.
- 14 - الحث على الأدب والصدق: ذكره القفطي 147/3، وياقوت 144/7.
- 15 - الحروف: ذكره ابن النديم ص 268، وياقوت 144/7.
- 16 - الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه: ذكره ياقوت الحموي في إرشاد الأريب 144/7، والقفطي 252/3 حيث أشار إليه بعنوان " الحروف ومعاني القرآن... ".
- 17 - الخط والمهجع: جاء ذكره في الفهرست ص 267، وفي طبقات المفسرين للداودي⁽²⁷⁾.
- 18 - الرد على سيبويه: ذكر في إرشاد الأريب 144/7، وكشف الظنون⁽²⁸⁾.
- 19 - رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها: نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في المجلد الأول من كتاب " نواذر المخطوطات " ص 163-173. (طبع بالقاهرة سنة 1951).
- 20 - الرسالة الكاملة: جاء ذكرها في الفهرست ص 267، وإنباه الرواة 215/3.
- 21 - الروضة: ذكرها ابن خلكان 441/3، وشذرات الذهب⁽²⁹⁾.
- وهو كتاب في أشعار المحدثين من الشعراء. قال ابن الأثير: « قرأت في كتاب الروضة لأبي العباس المبرد، وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء، بدأ فيه بأبي نواس، ثم بمن كان في زمانه، وانسحب على ذيله...»⁽³⁰⁾. كما أشار إليه عبد العزيز الميمني في تحقيقه لكتاب الفاضل للمبرد⁽³¹⁾، مشيراً إلى أنه يملك نسخة مخطوطة من كتاب الروضة.
- 22 - الرياض المؤنقة: أشار إليه ابن النديم ص 268، وياقوت 144/7، وابن شهبة في طبقاته ذكراً اسمه " الرياض المقدم " (وهو تحريف)⁽³²⁾.
- 23 - الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه: ذكره ابن النديم ص 267، والقفطي 252/3، وياقوت الحموي 144/7.

- 24 - الشافعي: ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو⁽³³⁾، في قوله: « قال في البسيط: ذكر المبرد في كتابه المسمى " بالشافعي " أن حرف التعريف همزة المفتوحة وحدها، وضم إليها اللام ؛ لئلا يشتبه التعريف بالاستفهام ».
- 25 - شرح شواهد كتاب سيبويه: ذكره حاجي خليفة ص 1427، والسيوطي في بغية الوعاة ص 116.
- 26 - شرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها: ذكره الفهرست ص 268، وإنباه الرواة 252/3.
- 27 - شرح لامية العرب للشنفرى: طبع بمطبعة الجوائب بإسطنبول سنة 1300 هـ⁽³⁴⁾، بالرغم من أنه لم يذكره أي واحد من الذين ترجموا للمبرد.
- 28 - صفات الله جل وعلا: جاء ذكره في طبقات المفسرين للداودي ص 296، والفهرست ص 268.
- 29 - ضرورة الشعر: ذكر في بغية الوعاة ص 116، وإرشاد الأريب 144/7.
- 30 - طبقات النحويين البصريين وأخبارهم: ذكره إنباه الرواة 252/3، وطبقات ابن شهبة 147/1.
- وذكر حاجي خليفة أنه « أول كتاب صنف في طبقات النحاة »⁽³⁵⁾. وقد نقل منه كثير من كتاب التراجم، وبخاصة السرياني في كتابه " طبقات النحويين البصريين ".
- 31 - العبارة عن أسماء الله تعالى: ذكر في الفهرست ص 268، وإرشاد الأريب 144/7.
- 32 - العروض: ذكر في بغية الوعاة ص 116، وإنباه الرواة 252/3.
- 33 - غريب الحديث: ذكره ابن الأثير في النهاية⁽³⁶⁾.
- 34 - الفاضل: نشر بدار الكتب المصرية، بالقاهرة سنة 1956، بتحقيق عبد العزيز الميمني.
- 35 - الفتن والحن: اقتبس منه تلميذه الصولي، قوله: « حدثنا محمد بن يزيد النحوي، وكان قد عمل كتباً لطافاً، فكنت أنتخب منها وأقرأ عليه، فقرأت عليه كتاباً سماه كتاب الفتن والحن... »⁽³⁷⁾.
- 36 - قواعد الشعر: ذكره الفهرست ص 267، وإرشاد الأريب 144/7.
- 37 - القوافي: نشره الدكتور رمضان عبد التواب بالقاهرة سنة 1972.
- 38 - الكافي في الأخبار: جاء ذكره في طبقات ابن شهبة 147/1.
- 39 - الكامل: من أشهر ما كتب المبرد، وهو من الكتب الرائدة في فن الأدب، وقد طبع مرات عديدة، وشرحه " سيد بن علي المرصفي " في ثمانية أجزاء كبيرة بعنوان " رغبة الآمل في شرح الكامل ". وقد قال ابن خلدون: « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن - علم الأدب - وأركانه أربعة، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة »⁽³⁸⁾. وقام بتحقيقه محمد أبو الفضل إبراهيم، وطبع بالقاهرة سنة 1956. ومن أمثال أهل المغرب قولهم: من لم يقرأ الكامل فليس بكامل⁽³⁹⁾.
- 40 - ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن: قام عبد العزيز الميمني بتحقيقه، وطبع في القاهرة سنة 1350 هـ بعنوان: " ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد ".
- 41 - المدخل إلى سيبويه: ذكره إرشاد الأريب 143/7، وإنباه الرواة 351/3.
- 42 - المدخل في النحو: الفهرست ص 267، وفهرسة ابن خبير.

- 43 - المذكر والمؤنث: قام رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي بتحقيقه، وطبع بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة 1970.
- 44 - مسائل الغلط: ذكره ابن جني في الخصائص 287/3، وذكره السيوطي في المزهرة 372/2 نقلاً عن ابن جني.
- 45 - معاني القرآن: ويعرف "بالكتاب التام"، ذكره بغية الوعاة ص 116، وإرشاد الأريب 143/7.
- 46 - معنى كتاب الأوسط للأخفش: ذكره طبقات ابن شهبة 147/1، والفهرست ص 268.
- 47 - معنى كتاب سيبويه: ذكره طبقات المفسرين ص 296، وإنباه الرواة 252/3.
- 48 - المقتضب: يقول ابن الأنباري عن هذا الكتاب: «... والمقتضب في النحو، وهو أكبر مصنفاته وأنفسها»⁽⁴⁰⁾. وقال عنه حاجي خليفة: «وهو نظير الكتاب... شرحه أبو الحسن علي بن عيسى الرماني...»⁽⁴¹⁾.
- وقد حققه محمد عبد الخالق عزيمة، وطبع بالقاهرة سنة 1963 في أربعة مجلدات. وقد اشتمل على كل أبواب النحو والصرف والأصوات التي اشتمل عليها كتاب سيبويه. كما تعرض له بالدراسة سامي ماضي في رسالة دكتوراه بعنوان "الدلالة النحوية في الكتاب المقتضب للمبرد محمد بن زيد"⁽⁴²⁾.
- 49 - المقصور والممدود: ذكره الفهرست ص 267، وبغية الوعاة ص 116، وكشف الظنون ص 1462.
- 50 - الممدوح والمقايح: في طبقات ابن شهبة 147/1، وإرشاد الأريب 144/7.
- 51 - الناطق: ذكره الفهرست ص 268، وإنباه الرواة 252/3.
- 52 - نسب عدنان وقحطان: حققه عبد العزيز الميمني، وطبع في القاهرة سنة 1936 باسم "نسب عدنان وقحطان".
- 53 - الوشي: ذكره الفهرست ص 268، وإنباه الرواة 252/3.
- وهكذا، بعد هذا العرض الشامل لكل الكتب التي ذكرتها المراجع التي ترجمت له، والتي وجدنا بعضها مطبوعاً، يتبين لنا أنها تناولت موضوعات متنوعة يمكن تصنيفها إلى علوم ومجالات عديدة، وهو ما يؤكد الاتجاه الموسوعي لدى المبرد، كغيره من علماء عصره. ويمكن أن نعبر عن هذه التخصصات في الشكل التالي:
- كما يمكن أن نضيف إلى هذه المؤلفات التي سبق ذكرها أن المبرد كان كذلك شاعراً، إذ روت الكتب كثيراً من شعره، بالرغم من أنه لم يخلف لنا ديواناً، سوى بعض القصائد والمقطوعات الموثقة في ثنايا الكتب، يقول الزبيدي: «ولم يكن أبو العباس محمد بن يزيد، على رياسته وتفرد بمذهب أصحابه، وإرائته عليهم بفطنته، وصحة قريحته، متخلفاً في قول الشعر، وكان لا ينتحل ذلك، ولا يعتزى إليه، ولا يرسم نفسه به. وله أشعار كثيرة»⁽⁴³⁾.
- وإذا ما رجعنا إلى كتاب الكامل الذي أشرنا إليه من قبل، وجدناه بمثابة الموسوعة، من كثرة ما اشتمل عليه من مسائل متنوعة، فهو «بحق موسوعة لغوية أدبية، وسجل للمواعظ والنصائح والحكم»⁽⁴⁴⁾. فقد كان «يورد النص أولاً، ثم يشرح جزئياته مبتدئاً بالمعنى اللغوي، وتتداعى الأفكار؛ فيستشهد بنصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم من كلام العرب شعراً ونثراً، وأحياناً يلجأ إلى معارف العرب، وهو بين هذا وذاك يورد الكثير من مسائل اللغة وعلوم القرآن والفقه والأخبار وغير ذلك»⁽⁴⁵⁾. وفي الكامل بعض القراءات القرآنية ومسائل قليلة في الفقه، وهي ترد على سبيل الاستطراد. وفي الكتاب دراسات تطبيقية للكثير من مسائل النقد، وهي كذلك متناثرة ومعظمها كان له بعيد الأثر عند العلماء.
- أما مسائل اللغة فهي ترد تبعا لبيان معنى لغوي، فجاء فيه ذكر لعيوب النطق كالتمتمة والفأفة والعقلة والحبسة واللفف والرتة... كما ذكر بعض اللهجات العربية. أما النحو والصرف «فإن مسائلهما ترد بكثرة حتى ليكاد "الكامل" يكون ألف لهما»⁽⁴⁶⁾. كما استوعب كثيراً من مسائل البلاغة، حتى إن باحثاً أنجز رسالة دكتوراه درس فيها مسائل البلاغة في

الكامل⁽⁴⁷⁾. وقد عدّه أحمد محمد الحجاز واضع النواة الأولى لمباحث التشبيه في بحث بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض⁽⁴⁸⁾. فهو حقيقة ينمّ عن رغبة صاحبه في جعله مثل الموسوعة التي تكتفي بنفسها، لا يحتاج من يقرأها إلى غيرها من الكتب، وهو ما صرح به في مقدمة كتابه: « والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح فيه من الإعراب شرحاً كافياً، حتى يكون هذا الكتاب مكتفياً بنفسه، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً، وبالله التوفيق »⁽⁴⁹⁾. وهذا الكلام لا يحتاج إلى تعليق.

- الخاتمة:

وهكذا تبين لنا من هذا العرض الموجز لمسيرة رجل عظيم من عظماء الأمة العربية الإسلامية - وما أكثرهم - أن أسباب نبوغه كانت كثيرة، منها:

- البيئة التي عاش فيها وقد كانت زاخرة بشتى أنواع العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية.
- تتلمذه على أيدي كبار علماء عصره في شتى العلوم العربية، هؤلاء العلماء الذين عرفوا هم كذلك بميلهم إلى الفكر الموسوعي في دراستهم وتدريسهم وفي تأليفهم.
- حبه الشديد للمطالعة، حيث يقرأ بنهم كل ما كتبه السابقون.
- تفانيه في طلب العلم والتأليف فيه، فلا يعقل أن رجلاً يقضي وقته في اللهو واللعب قد يجد وقتاً كافياً لكتابة أكثر من خمسين كتاباً، بعضها يتكون من عدة أجزاء. فإذا عرفنا أنه عاش حوالي خمسا وسبعين سنة، وإذا قدرنا أنه بدأ يؤلف في العشرين من عمره، فهذا يعني أنه كان يؤلف كتاباً كل سنة. وهذا أمر مذهل، حتى وإن كان بعض هذه الكتب عبارة عن رسائل صغيرة، لأن بعضها الآخر عبارة عن مجموعة من المجلدات.
- فرحم الرجل، هذا العالم الجليل وأسكنه فسيح جنانه، وجازاه الله عنا أحسن المجازاة، فقد ترك لنا مكتبة زاخرة بالعلم في شتى العلوم، وأتمودجا يحتذى في الأخلاق والتنافي في طلب العلم.
- الهوامش والإحالات :

1 - Noam Chomsky, la linguistique cartésienne, trad. par N. Delanoé et P. Sperber, ed. du Seuil, Paris 1969.

2 - تمام حسان، اللغة العربية بين العوربة والعولمة، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 6 - 8 نوفمبر 2000، ص 174.

3 - مختار نويوات، اللغة العربية واستيعاب الثقافات، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، عدد 6، سنة 2002، ص 48.

4 - انظر في ذلك محمد قباني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة (الجزائر) ودار وحي القلم (دمشق)، ط 1، 2006، ص 121 - 124.

5 - مختار نويوات، اللغة العربية واستيعاب الثقافات، ص 49.

6 - إبراهيم مدكور، تصدير كتاب الشفاء لابن سينا، تحقيق محمد رضا مدور وإمام إبراهيم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2005، ص 9.

7 - الجاحظ، الحيوان، ج 5، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الباوي الحلي، القاهرة (د.ت)، ص 89.

8 - أبو الریحان البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، تحقيق كرنكو الألمانى، طبعة حيدر آباد، الدكن (الهند) 1936.

9 - ابن سينا، كتاب الشفاء، مرجع سابق.

- 10 - زغيريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فارون بيضون وكمال دسوقي، دار صادر ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 10، 2002، ص 353.
- 11 - المرجع نفسه، ص. ن.
- 12 - هذه الأقوال مبثوثة في كتب التراجم.
- 13 - محمد عبد الخالق عضيمة، أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1405 هـ، ص 14.
- 14 - انظر ترجمته كاملة في:
- القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1986، 281/1.
- والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دار المعرفة، بيروت (د.ت)، ص 202.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1947، 92/1-93.
- 15 - ابن النديم، الفهرس، ص 257 - 258.
- 16 - المرجع نفسه، ص 256 - 257.
- 17 - المرجع نفسه، ص 261.
- 18 - المرجع نفسه، ص 262.
- 19 - المرجع نفسه، ص 263 - 264.
- 20 - المبرد، المذكر والمؤنث، ص 28 (مقدمة المحقق).
- 21 - ابن النديم (محمد بن إسحاق)، الفهرست، حققه وقدم له مصطفى الشويهي، الدار التونسية للنشر تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985.
- 22 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، 445/3.
- 23 - عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولباب لب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 305/1.
- 24 - المبرد (أبو العباس بن يزيد)، كتاب المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب وصالح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1996، ص 47 (من مقدمة المحقق).
- 25 - المرجع نفسه، ص. ن.
- 26 - عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 4 / 68.
- 27 - الداودي، طبقات المفسرين، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 167، ص 296.
- 28 - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة إسطنبول، تركيا 1941، ص 1427.
- 29 - ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مطبعة القدسي، القاهرة 1350 هـ، 191/2.
- 30 - ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1939، 315/1.
- 31 - المبرد، الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1995، ص 34، 43، 96، 101.
- 32 - ابن شعبة الأسدي، طبقات النحويين واللغويين، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2146، 147/1.

- 33 - السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، طبعة حيدرآباد، الدكن (الهند)، 1371 هـ، 21/4.
- 34 - المبرد، كتاب المذكر والمؤنث، ص 54 (من مقدمة المحقق).
- 35 - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 1107.
- 36 - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، طبعة القاهرة 1322 هـ، 6/1.
- 37 - الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أخبار أبي تمام، تحقيق خليل عساكر وآخرين، القاهرة 1937.
- 38 - انظر مصطفى السيد جبر، أبو العباس المبرد والبلاغة في كتابه الكامل، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص 03.
- 39 - المبرد، المؤنث والمذكر، ص 56 (من مقدمة المحقق).
- 40 - أبو البركات بن الأنباري، نزهة الأدباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد 1950، ص 291.
- 41 - حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 1793.
- 42 - سامي الماضي، الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد محمد بن زيد، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2009.
- 43 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1954، ص 112.
- 44 - مصطفى السيد جبر، أبو العباس المبرد والبلاغة في كتابه الكامل، ص 38.
- 45 - المرجع نفسه، ص 38 - 39.
- 46 - المرجع نفسه، ص 45.
- 47 - المرجع نفسه.
- 48 - المرجع نفسه، ص 452.
- 49 - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق رايت، ليبزج (ألمانيا) 1864، 1 / 03.